الفصل الثاني
العدنانية والقحطانية

دأب لفيف من مؤرخي العرب على تقسيم العرب إلى أقسام مختلفة اعتقدوا في صحتها ، واتبعوها في كل ما سطروه عن العرب . فهم بالإضافة إلى ذكر القسم الأول من العرب وهم العرب البائدة . أوجدوا قسمين آخرين إلى هذا القسم البائد . وهذا القسم البائد يشمل تلك القبائل التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، والتي كان يعرفها العرب ويعرفون شيئا عن أخبارها . وتتمثل هذه القبائل البائدة في الأمم الخالية مثل عاد وثمود وطسم وجديث والعماليق وجرهم وغيرهم . وبسبب ما نال بعضهم من عقاب فقد خلت منهم أوطانهم إلا القلائل الذين آمنوا بالله العظيم واتبعوا أنبياءه . ولا يعرف بالتحديد أين ذهب المؤمنون من هؤلاء العرب البائدة ،أو الذين لم يحل عليهم العقاب . ولكن هناك أقوال بأن أمة ثمود ربما ذهب بعضهم إلى العدوة الغربية من البحر الأحمر وانتشروا في مصر والسودان .

ويرى بعض الباحثين أن الجزيرة العربية وما حولها من بلاد ، ويقصدون بذلك وادي النيل وأرض الفراتين كان يسكنها جنس واحد هم

العرب ، كما يرون أن في اللغة المصرية القديمة وبعض لغات سكان ما بين النهرين ما يربط بعضها ببعض لانحدارها من أصل واحد .

فلما اختفت العرب البائدة من شبه الجزيرة العربية ظهر على أرضها سكان آخرون هم الذين حددهم مؤرخو العرب أيضا بالعرب العاربة ، والعرب المستعربة.

أما العرب العاربة فقد استوطنوا أول أمرهم في بلاد اليمن ثم انتشرت قبائل منهم في أنحاء الجزيرة العربية شمالا وشرقا وغربا وعرفوا بالقبائل اليمنية والقحطانية . أما القسم الآخر فهوالعرب المستعربة ،وهؤلاء هم أبناء سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام . وقد نشأوا من زواج سيدنا إسماعيل بزوجته الجرهمية التى ولدت له العرب المستعربة و من والاهم وهم الذين عرفو في كتب تاريخ العرب بعرب الشمال و بالمعديين والعدنانيين والمضريين والقيسية وابناء نزار .

وترى بعض المصادر أن عرب اليمن ربما كانوا قد هاجروا من أرض ما بين النهرين (العراق) في وقت بين القرن الخامس عشر والثالث عشر قبل الميلاد (١٥٠٠_ ١٢٠٠) ق. م . وقد مارس هؤلاء العرب في اليمن الزراعة ، وعرفوا الاستقرار والبناء بالحجارة ، وبنوا حضارة زاهية ، واشتغلوا بالتجارة في البخور والعطور والأفاويه ،وأصبحوا أكثر تقدما من بقية عرب الجزيرة ، وبنوا سد مأرب وماتبع ذلك من قنوات رى ، وتنظيم ذلك النشاط الزراعي والهندسي خاصة في فترة الحكم السبئى باليمن بين سنة ١٢٠٠ ق.م إلي سنة ٥٠٠ ق.م . وقد جاء ذكر السبئيين في القرآن الكريم ووصف الله سبحانه وتعالى بلادهم بقوله " لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة

طيبة ورب غفور . "وبينما كانت حضارة سبأ تنعم بالرخاء والازدهار ظهرت قبيلة معين بالقرب منها في حوالي القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد (حوالي سنة ٥٠٠ ق.م) وكانت عاصمة سبأ مدينة مأرب . أما معين فقد كانت عاصمتها قرناو. وشاركت سبأ في التجارة بالعطور والبخور والأفاويه التي كانت تجلب أولا من حضرموت . ثم أخذ التجار يجلبونها من الهند وشواطئ إفريقيا دون تحديد لمكانها . وكانت كل من معين وسبأ على طريق تلك القوافل ، ثم ما لبث المعينيون أن بنوا السفن وأصبحوا ينقلون بعض سلعهم التجارية إلى مصر في عهد البطالسة ثم إلى الرومان في مصر وما وراءها وهكذا عرف كل من السبئيين والمعينيين بالثراء والتنعم لدى كتاب البطالسة من يونان وكتاب الروم .

وعرف عن عرب الجنوب هؤلاء صلاتهم الطيبة بالمناطق التي كانوا يتاجرون معها سواء في أراضى ما بين النهرين على أيام الأشوريين أو مع كل من البطالسة والروم .وكانوا يسلكون البر أولا ، ولكن في حوالي القرن الثالث الميلادي كان بعض المعينيين يمتلكون سفنا ، وكانوا ينقلون بها تجارتهم إلى مصر ، كما كانوا قد أفادوا من القناة التي كانت تربط النيل بالبحر الأحمر وهى القناة التي حفرها بطليموس الثاني حوالي سنة ٢٦٨ ق.م واستمرت هذه التجارة حتى بعد أن فتح الرومان مصر سنة ٣٠ ق.م .

ومن أهم ما تركه لنا السبئيون والمعينيون تلك الكتابة بالخط المسماري ، فقد اخترعوا هذا الخط ، وكتبوا به الكثير من المعلومات عن ملوكهم وآثارهم وحروبهم وحياتهم ، ولكن مازال هناك الكثير من المعلومات خافيا على الفكر الإنساني . واهتم السبئيون خاصة ببناء المعابد لآلهتهم ، وكانوا يعبدون عشتر أو أشتار على نطاق واسع ، وهو إله

الشمس ، وكان هذا الإله يعبد أيضا في العراق خاصة على أيام الآشوريين ، وهذا ما حدا ببعض الباحثين أن يقولوا بأن عرب اليمن إنما نزحوا من العراق ، كما كانت الكتابة المسمارية عاملا مشتركا بين أهل اليمن وأهل ما بين النهرين ، وكانت دليلا آخر رأى فيه الباحثون ما يؤكد الصلة القوية بين العراق واليمن وأنه دليل على نزوح السبئيين والمعينيين والحميريين بعدهم من هناك . ويقول بعض رواة الأخبار العرب إن عرب الجنوب ينتمون إلى جدهم قحطان بن عابر الذي ينتهي نسبه ، حسب قولهم ، إلى سام بن نوح . وقحطان هذا هو جد القحطانيين عامة ، وهناك شعبتان عربيتان من أبناء اليمن هما شعب كهلان وشعب حمير ، وقد انبثقت من كل من هذين الشعبين شعوب أخرى كثيرة . فمن كهلان خرجت القبائل التالية وهي : همدان ومذحج وكانتا قد استقرتا في اليمن . ومن بين بطون مذحج قبيلة بجيلة التي شاركت مشاركة قوية في الفتوح في عهد سيدنا عمر بن الخطاب (ض) .

وهناك قبيلة طي ، وقد كانت تسكن في جبل شمر الذي كان يسمى فيما سبق بأجا وسلمى . وكانت إقامة طي في هذا الموقع قبل الإسلام بقرون . واشتهرت طي بنشاطها قبل الإسلام بين الفرس والسريانيين حتى أصبح هؤلاء يسمون كل العرب باسم طي .

وانتقلت قبائل من قحطان من الجنوب اليمني إلى بلاد الشام في عهود بعيدة ، ومن بين هذه القبائل التي رحلت إلى هناك عاملة وجذام حيث نزلوا في بادية الشام . ومن بين أهم بطون جذام قبيلة لخم التي أسست ملك المناذرة على نهر الفرات ، وكان ملوكها المناذرة يعرفون بملوك العرب ، وكانوا على اتصال قوي ببقية القبائل العربية . ومن بين ملوك المناذرة

المشهورين الملك عمرو بن هند الذي قتله عمرو بن كلثوم لان والدته أساءت إلى والدة ابن كلثوم ، فما كان من هذا إلا أن ضربه بالسيف فرمى عنقه ، ونظم معلقته الشهيرة ، والتي هي من عيون الشعر العربي . وهناك قبيلة أخرى من هذه القبيلة هي كندة التي كانت قد أقامت مملكة ذات نشاط قوي تجاريا وحضاريا في بعض جهات شمالي اليمن وحضرموت ، وقد اتسع ملك كندة في الجزيرة العربية حتى بلغ أرض اليمامة ، وأخضعت بنى أسد لحكمها . وقد كان والد إمرئ القيس أحد ملوك بنى أسد ، وثارت القبيلة عليه وقتلته تاركة امرأ القيس يبحث عن وسيلة للأخذ بثأره منها . وكانت جذام من بين القبائل العربية التي أسهمت بنشاط كبير في الفتوح ثم في الهجرة أو الهجرات إلى وادى النيل (مصر والسودان) فقد رحلت بطون كثيرة منها إلى مصر أولا ، وبقيت فيها عدة قرون ثم انطلقت من هناك إلى السودان وتشاد .

وكما خرج المناذرة من اليمن ، وانحدروا من لخم ، كذلك نجد بأن أعداءهم التقليديين الغساسنة قد خرجوا من الأزرد ، ثم رحلوا إلى الشام حيث أقاموا في جِلّق التي زارهم فيها حسان بن ثابت الأنصاري قبل الإسلام . وكانت الحروب التى قامت بين المناذرة والغساسنة ذات معالم تاريخية في سيرة هاتين المملكتين .

ومن الأزد أيضا الأنصار ، وهما قبيلتا الاوس والخزرج ، وذكرهما يغنى عن فعلهما ، وجهادهما فى الإسلام عند ما كان ضعيفا ثم عندما قويت قوادمه .

أما قبائل حمير المشهورة فهي قضاعة التى خرجت من الأراضي اليمنية واتجهت صوب شمالي الحجاز حيث استقرت هناك .

وخرجت جهينة وصحبتها عـذرة ، وسـكنوا بالحجـاز ، وقـد قـال بعضهم إنهم نزلوا وادى إضم ولكنهم انتشـروا فـى أراضـي الحجـاز . وقـد كانت صحبة جهينة وعذرة قد امتدت لعدد من القرون ، وارتبط مصـيرهم ببعضهم بعضا فى رحلاتهم عبر الزمن .

وهناك قبيلة بَلـيّ بـن عمـرو بـن الحـافي وهـى بطـن كبـيرة مـن قضاعة .وقد خرجت من اليمن ، وانتشرت فـى شمـالي الحجـاز ، وجـاورت كلا من جهينة وجذام. وقد اكتظت تلك المواقع بالقبائل العربية رغم أن كلا منها كانت تعرف منازلها ومواطنها .

ويقسم نسابو العرب عدنان إلى فرعين كبيرين همـا ربيعـة ومضـر . ومن أشهر قبائل ربيعة أسد ، ووائـل ومنهـا تنحـدر بَكْـر وتغلـب أصحـاب حـرب البسـوس . وأما مضـر فمـن قبائلهـا المشـهورة قيـس عيـلان . وقـد أصبحت هذه القبيلة ذات شهرة طاغية على رصفائها ، فأصبح اسمها يطلـق على كل العدنانيين تجاوزا. ومن قبائل قيس المشهورة هوازن وسليم. وكانت هاتان القبيلتان تسكنان فى غربي نجد ، كما أن ربيعة كانت على مقربة منهـا هناك . ومن بين قبائل قيس التى لها تاريخ فى العالم العربى القديم قبيلتا عبس وذبيان .وهناك قبيلة كنانة العدنانية التى كـانت منازلهـا فـى الحجـاز وتطـل على شواطئ البحر الأحمر ، كما كانت هناك تيم أيضا .

وسواء أكانت هذه التقسيمات التى ارتآها مؤرخو العرب حقيقية أم كـانت أسـطورية الإ أنهـا كـانت تشـير إلى أن هنـاك اختلافـا بـين الشـعبين العدناني والقحطـاني . وقـد رأى بعـض البـاحثين أنـه ربمـا كـان مـن أهـم الخلافات بينهمـا أن القحطـانيين كـانوا حضريين ، بينمـا كـان العدنـانيون بدويين . وفى الوقت الـذي كـان مـن المؤكـد أن عـرب الشـمال العدنـانيين

كانوا من البدو الإ أن القحطانيين بعد أن خرجوا من اليمن لم يظلوا قبائل حضرية كما كانوا إلا القلة القليلة مثل المناذرة والغساسنة ، والأوس والخزرج . ومع كل فإن العرب أنفسهم قبلوا خلال تاريخهم الإسلامي هذا التقسيم ، وانتشرت بينهم المنافسة فالنزاع حول السلطة طوال العصر الأموي .

obeikandl.com